ISSN: 2750-6142

المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

Sharing of Food and its Role in Strengthening Social Ties and Providing Security

Fatima Dilmi

National Center for Prehistoric, Anthropological and Historical Research, Algiers, Algeria

Email : f.dilmi@cnrpah.org
Orcid : 0000-0002-8418-7807

Received	Accepted	Published
09/11/2024	07/02/2025	03/07/2025

doi: 10.63939/AJTS.295m6670

Cite this article as: Dilmi, F. (2025). Sharing of Food and its Role in Strengthening Social Ties and Providing Security. *Arabic Journal for Translation Studies, 4*(12), 32-43.

Abstract

The article adopts a descriptive-analytical approach to highlight the fact that eating for humans is not only a response to a biological need but is also the result of cultural evolution. This evolution allowed for the consolidation of social relations, as a form of social kinship emerged based on sharing food on various occasions and all days. This can be called the kinship of salt, whose role lies in protecting society from conflicts that turn into hostility. Sharing food allows for the spread of an atmosphere of reassurance in social life and enables coexistence.

Keywords: Consolidation, Links, Meals, Sharing, Society

© 2025, Dilmi, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)
ISSN: 2750-6142

تقاسم الطعام ودوره في تقوية الروابط الاجتماعية وتوفير الأمن

فطيمة ديلمي

المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ، الجزائر العاصمة، الجزائر

الايميل: f.dilmi@cnrpah.org

أوركيد: 0000-0002-8418-7807

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/11/09	2025/02/07	2025/07/03

doi: 10.63939/AJTS.295m6670

للاقتباس: ديلمي، فطيمة. (2025). تقاسم الطعام ودوره في تقوية الروابط الاجتماعية وتوفير الأمن. *المجلة العربية لعلم الترجمة*، *4*(12)، 32-43.

ملخص

يعتمد المقال على المنهج الوصفي التحليلي بهدف إبراز كون تناول الطعام بالنسبة للإنسان ليس استجابة لحاجة بيولوجية فحسب، بل هو ثمرة تطور ثقافي أيضا، وهو تطور سمح بتوطيد العلاقات الاجتماعية، إذ ظهر شكل من القرابة الاجتماعية يستند إلى تقاسم الطعام في مختلف المناسبات وسائر الأيام، يمكن تسميته بقرابة الملح، يكمن دوره في حماية المجتمع من النزاعات التي تتحول إلى عداء، إن تقاسم الطعام يسمح بإشاعة جو من الطمأنينة في الحياة الاجتماعية، ويتيح العيش المشترك.

الكلمات المفتاحية: تقاسم، الطعام، تقوية، الروابط، المجتمع

©2025، ديلمي، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة

تناول الطعام بالنسبة للإنسان هو استجابة لحاجة بيولوجية أساسا، فالطعام ضروري له ليبقى على قيد الحياة ويحفظ ذاته من الموت، إلا أن زائر مطابخ العالم سيدرك حتما أن تناول الطعام بالنسبة للإنسان يتعدى هذه الحاجة الطبيعية، إذ هو مسألة ثقافية كذلك، وهو ما يظهر في الاختلافات التي تعتري طرق الطبخ مثلا، وكذا آداب تناول الطعام إلى غيرها من المسائل التي طورها الإنسان بفضل عقله، ففي منطقة المتوسط مثلا قواسم مشتركة في مجال الطبخ منشؤها الجغرافيا، فقد طور فيها الإنسان مطبخا يستند إلى الحبوب والخضروات الخاصة بالمنطقة، ومع ذلك نلاحظ وجود اختلافات واضحة في طرق إعدادها بين المطبخين الإيطالي والفرنسي مثلا، كما نلاحظ فروقا عميقة بين مطبخي ضفتي المتوسط، هذه الاختلافات هي ثمرة جهود الإنسان في مختلف هذه المناطق.

هذه الجهود التي قام بها إنسان شمال أفريقيا أثمرت معرفة شعبية بطرق استغلال خيرات أرضه استغلالا يحقق له الاكتفاء الذاتي بل ويفيض، من غير إلحاق الضرر بأرضه وبيئته، هذه المعرفة التي ظلت شفوية تتناقلها الأجيال جيلا بعد آخر، ولم تتوقف إلا بعد أن تعرضت المنطقة للاستعمار الذي باستيلائه على الأراضي وتغيير طرق استغلالها وتحويلها للمنتوجات القابلة للتصدير، تسبب في المجاعات لسكانها الأصليين، كما قام بتدمير منظوماتهم المعرفية.

واليوم حتى بعد مضي ستين سنة بعد الاستقلال لا تزال الجزائر مثلا تجر خلفها أعباء التدمير الاقتصادي والاجتماعي الذي لحق بها بسبب الإدارة الاستعمارية والمعمرين، ولا يمكن إصلاح هذه الأوضاع إلا بتحقيق التنمية المستدامة التي تراعي احتياجات المنطقة وخبراتها الثقافية، فالتنمية لا تنبني حتما ودائما على القطيعة مع أشكال المجتمع التقليدي الاقتصادية والاجتماعية، فالتحديث يحتاج أيضا إلى الحكمة والتبصر اللذين يفرضان الاستثمار في عناصر قوة المجتمع.

1. دعائم التنمية المستدامة وأهمية الشق الاجتماعي

لا يمكن للتنمية المستدامة أن تتحقق إلا إذا كان الإنسان هو محورها وعنصرها الأساس، هذا الإنسان في كل أبعاده خاصة بعده الاجتماعي، وتكفي ملاحظة العديد من المرات التي وردت فيها التنمية الاقتصادية مقترنة بالتنمية الاجتماعية في تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة، المنعقد في جوهانسبورغ، بجنوب أفريقيا، لإدراك أهمية الروابط الاجتماعية في تحقيق التنمية والتطور الفعليين، حيث يشير التقرير إلى كل الجهود التي ينبغي بذلها لتحقيق التنمية المستدامة قائلا " وسوف تؤدي هذه الجهود أيضا إلى تعزيز تكامل عناصر التنمية المستدامة الثلاثة. التنمية الاقتصادية، والتنمية الاجتماعية، وحماية البيئة، باعتبارها دعائم معززة."(تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة 2002: 9)

هذا الإنسان الذي صار أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى الإحساس بالاستقرار والأمن، وحاجته للاستقرار والأمن لا تعني التأمين الغذائي فحسب، بل هو أكثر حاجة للأمن الاجتماعي الذي يعد شرطا من شروط التنمية الاجتماعية، فأكثر المجاعات التي شهدها الإنسان كانت أسبابها مظاهر العنف المختلفة خاصة الحروب، ولتحقيق الأمن الاجتماعي لابد من الاستثمار في تعزيز الروابط الاجتماعية بمختلف أشكالها، وهذا ما توصي به وثيقة مؤتمر جوهانسبورغ، حيث تؤكد الوثيقة على ضرورة محاربة أسباب اللاأمن الاجتماعي بمواجهة كل أشكال اللاتسامح وكل أنواع الاستعمار(تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة 2002: 4)، فما أهمية تقاسم الطعام في تقوية الروابط الاجتماعية؟

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)
ISSN: 2750-6142

2. أهمية تعزيز الروابط الاجتماعية في تحقيق الاستقرار

تحدث ابن خلدون في مقدمته عن الروابط الاجتماعية، وقد ركز في حديثه ذاك على قرابة الدم والمصاهرة مبرزا أن قيمة النسب إنما تكمن فيما يحققه من تلاحم اجتماعي قائلا" العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر...فإذا كان النسب...قريبا جدا...كانت الوصلة ظاهرة...وإذا بعد النسب فربما تنوسي بعضها..." (ابن خلدون 2004: 256)

هكذا جعل ابن خلدون قيمة الروابط الاجتماعية تكمن في تحقيق التكاتف والتلاحم، ونحن إذا سقنا قول ابن خلدون هذا فإنما لإبراز وجود روابط اجتماعية غير روابط الدم والمصاهرة، والتي قلما بل نادرا ما أعارها الدرس الاجتماعي والانثربولوجي الأهمية، هذه الروابط التي ما انفكت تزداد أهمية في واقعنا الاجتماعي الذي يشهد في المقابل تهلهل روابط الدم، حيث يقول أنه من أشكال القرابة الاجتماعية التي تماثل قرابة الدم أي "من هذا الباب الولاء والحلف. إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه، للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا منها." (ابن خلدون 2004: 256)

3. الملح ودلالة التقارب والتحالف

يعرف المجتمع الجزائري شكلا من أشكال القرابة غير قرابة الدم والمصاهرة، يستند إلى تقاسم الطعام، ويختصر الجزائريون الطعام بالملح فلا يقولون في الغالب تقاسم الطعام وإنما تقاسم الملح، وقبل أن نتعرض لمسألة تقاسم الطعام ومختلف مناسباته نتوقف قليلا عند مدى ثراء رمزية الملح لإدراك مبررات جعله وسيلة لتحقيق القرابة الاجتماعية.

على الرغم من كون الملح موجودا بكثرة على الأرض، إلا أن استخراجه لم يكن متاحا لجميع سكان المعمورة لكونه غير موزع بشكل يسمح للجميع بامتلاكه، مما جعله في وقت مضى عملة نادرة، ففي الجزائر وفي بلاد القبائل مثلا كان ثمة قرى قليلة معروفة بامتلاكها لهذه المادة وكانت تقايضه وتبادله بالزيت أو الحبوب وغيرها من الغلات، فقد كانت للملح قيمة تجارية كبيرة، لأن ندرته وانعدامه كان يخلق مشاكل اقتصادية، إذ ليس المطبخ هو الوحيد الذي يتضرر حين يبقى الطعام بغير طعم، كذلك الخيرات الغذائية التي تحتاج إلى الملح لتصبيرها وحفظها من التلف كاللحوم والخضروات من طماطم وبصل وغيرها وكذا أنواع العجائن ككسكسي العولة...الخ، لذلك امتلكت هذه المادة مع مرور الزمن قيمة كبرى حتى تحولت إلى رمز للكرم، حيث يقول مالك شبل عن رمزية الملح أنه بشكل عام" رمز الترحيب والضيافة لأنه كان يعتبر حجرا كريما، لقد لعب الملح دورا حاسما في المبدلات والتجارة وكذا الممارسات الوقائية حيث كان يستخدم كبخور."(Chebel 1995 : 383)

هذه الاستخدامات المختلفة تدل على أهميته في حياة الناس، وإذا كان الفراعنة خاصة قد اشتهروا به، إذ استخدموه في التحنيط، فإن أقواما آخرين من صناع الحضارات القديمة قد عرفوه وامتلك عندهم رمزية إيجابية فـ "قديما كان الملح رمزا للقرابين عند الآشوريين، ومكونا شائعا لدى المصريين والرافدينيين، ورمزا للتحالف لدى العبريين."(Chebel 1995 : 383)

هكذا فإنه من دلالات الملح الرمزية ما يحيل على التقارب والتحالف، وهو شيء معروف عند العبريين وحتى عند العرب الذين كان الملح عندهم " يقوي رباط الحليب"(Chebel 1995 : 383)

فالملح يذوب في الطعام الذي يصير أطيب، هكذا يكون تناوله وتقاسمه وسيلة لذوبان الأفراد في الجماعة بحيث تصبح العلاقة بينهم أقوى وأمتن.

وفي الجزائر الملح مادة مقدسة، وتستعملها النساء لإبعاد الأذى في حالتين، فإما أن يتم إبعاد أذى الحسود بأن تقوم الأم أو الجدة بتدوير كمية من الملح بيدها حول رأس الصبي سبع مرات ثم يلقى به في النار، أو قد تقوم المرأة بإلقاء كمية من الملح في البالوعات التي يعتقد كونها مخارج لكائنات غيبية هي الجن لتفادي غضبها وأذاها، ولكن ليس الملح علامة على الخير أو جالبا له باستمرار، فأحيانا يكون علامة على قرب وقوع الأذى، فسقوط المملحة وتبعثر الملح على الأسطح والأرض إنذار شؤم ، وهو ما يجعل المرأة القبائلية تتفاداه.

ولقد كان حسن استعمال الملح وتوظيفه للاقتصاد في الحبوب علامة على الذكاء، إذ تروي الحكاية القبائلية أن رجلا في زمن المجاعة أراد الزواج، فراح يختبر حسن تدبير الفتيات ليرى أيهن أنسب له ليتزوجها، فقالت له إحداهن إذا تزوجتني أطعم يوم العرس كل عرشك بمقدار آقروي من القمح وهو وحدة من وحدات قياس الحبوب والبقول عند القبائل، وثمة فروق بين القرى فيما يخص سعته.(Hanoteaux, Letourneux 1893:575) وهي كمية قليلة ومع ذلك جميع أفراد عرش الرجل أكلوا وفاض الكسكسي، وكانت الحيلة أنها أضافت للكسكسي كمية زائدة من الملح، مما جعل كل من يتذوقه يعرض عن تناول المزيد.

4. الكسكسي وأهميته في بلاد المغرب الكبير

هكذا إذن حينما يدخل الملح كمكون في الطعام فإنه يظل مقدسا، وأشهر طبق يتقاسمه الجزائريون في مختلف أيامهم ومناسباتهم هو الكسكسي أو "الطْعَام" هذا الطبق الذي يميز كامل شمال إفريقيا أو كما قال عنه محمد شفيق في معجمه "الكسكس الطعام المغربي المعروف...ويكنى عن الكسكس ب" ؤتشي" و"ؤتشو" بمعنى الطعام لأنه هو الطعام القومي الأمازيغي. والكسكس لفظة أمازيغية."(شفيق 1996: 389/ 390)

إنه طبق مصنوع عادة من القمح الصلب أو الشعير، والقمح الصلب هو الأساس، ويتم ذلك في أوقات الرخاء حيث يُعطى الشعير للحيوانات، و للحمير خاصة، فثمة مثل شعبي يقال للكسالى وهو " **أقَعْدُوا يَا حْمِيرْ حتّى يْجِيكُمْ الشّعيرْ**" وفي رواية أخرى " **أقَعْدُوا يَا حْمِيرْ حتّى يَنْبتْ لكُمْ الشّعيرْ**" ، ولكن هذا التصنيف يتغير في أوقات الأزمات حينما يقلّ القمح، لأنه حينها يتم إعداد الكسكسي من دقيق الشعير، وفي هذه الحالة عادة ما يكون كسكسي القمح الصلب من نصيب الرجال والضيوف، وعلية القوم كالإمام وشيخ الزاوية... في حين تكتفي النساء بكسكسي الشعير، وحينما اشتدت المجاعات أكثر وشح القمح والشعير معا ظهر كسكسي البلوط.

وتعد هذه الحبوب أي القمح الصلب والشعير هي الأقدم والأكثر انتشارا في شمال أفريقيا، وهي مقدسة ومصدر فخر لعدة أقوام ومن بينهم الأمازيغ حيث يقول مالك شبل "من بين جميع الحبوب ، يعتبر القمح أنبلها. فهو مقدس في جميع أنحاء المنطقة العربية الإسلامية والبربرية والفارسية والتركية ... إنه يرمز إلى التجدد والتجديد."(Chebel 1995 : 86)

ويحمل القمح لدى الجزائريين دلالات الجاه والسعادة ، وهذا ما نجده مذكورا في الأمثال الشعبية، فمن بينها قولهم عمن يملك دقيق القمح الصلب أنه الأسعد : "**اللّي عَنْدُو سْمِيدُو كُلْ يُومْ عِيدُو**" ويقولون في مثل آخر أن من يملك القمح يكون محل

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)
ISSN: 2750-6142

ثقة "**اللّي عَنْدُو القَمْح يَتْسَلَّفْ لُو الدْقِيقْ**" وهو مثل يقول القبائل مثله" **وِينْ يَسْعَانْ إِزْدَنْ رَطَّلْنَاسْ آوْرَنْ**، فالناس لا يقرضون الدقيق للكسول الذي يقال له " **كِي كُنْتْ أَنَا نَطْمَرْ كُنْتْ أَنْتَ تْزَمَّرْ**" وهو مثل يذكرنا بحكاية النملة والصرصور.

إن المجتمع الجزائري مجتمع فلاحي في الأساس، وهذا ما أكده هانوتو حينما ذكر أن العمل الفلاحي كان شرفا عند القبائل، ولا يتم اللجوء للتجارة إلا قسرا حينما تكون التربة قاحلة ولا تدر ما يكفي للعيش (Hanoteaux, Letourneux 1893: 477) ، والزراعة بالنسبة للقرويين "ليست مجرد نشاط اقتصادي ولكنها طريقة في الحياة"(محجوب: 45) ،فلا غرابة إذن حينما نجد مجموعة من الأمثال ترتبط بعالم الفلاحة بشكل أو بآخر، قد صارت عموما رموزا لغوية تربوية:

*فمن يتسرع في حياته يقال له :**اللّي غْصَبْ عْلَى خُبْزتُو يَاكُلْهَا عْجِينْ**.

*ولمن لا يتقي الحوادث أثناء عمله يقال له: **فْ آخَرْ السْبُولَة قَطَّعْ يَدُّو**.

*وهذا مثل يقال لمن لا يجتهد في حياته:**اللّي زْرَعْ الرّيحْ يَحْصَدْ غْبَارُو**.

*هذا المثل يقال للمقبل على خطوة هامة في حياته للتمهل: **مَا تَغْرَسْ حتَّى تْزَرَّبْ وما تَخْطَبْ حَتّى تْجَرَّبْ**.

*وهذا مثل يقال للحث على الاستمرار في العمل: **الصَّابَة أعْوَامْ والحَرْثْ دْوَامْ**.

*مثل آخر يبرز ثمار العمل والتعاون: **عَامْ يَكْثَرْ التْبَنْ يَكْثَرْ اللْبَنْ**.

هكذا ندرك كيف صار الكسكسي رمزا من رموز الأمازيغ الحضارية ، ولكنه ليس الطبق الوحيد الذي أبدعوا فيه، فهم يعرفون أطباقا أخرى تملك الأهمية نفسها، لأنها تصنع من القمح أيضا وذات أبعاد رمزية هي الأخرى، فإن أول طبق تعده الزوجة في بيت زوجها في بلاد القبائل هو طبق مصنوع من مادتين أساسيتين هما سميد القمح الصلب والخميرة، لذلك عادة ما يكون هذا الطبق هو إحدى المخبوزات التي تدعى السفنج أو الخفاف، ولا ينبغي لها أن تُعد طبقا ليس فيه خميرة لأنه أذان بعقرها، فبوجود الخميرة يتم التفاؤل بإنجاب الأبناء.

ولكن على الرغم من الثراء الذي يعرفه المطبخ التقليدي الجزائري، فإن المؤرخين يتفقون على كون الكسكسي طبق الأمازيغ الرئيسي منذ القدم، حيث قال فيهم اليوسي "وجدت في بعض التقاييد لبعضهم ما معناه: لو رأى أرسطو قدر البرنس في اللباس، والكسكسون في الطعام، والحلق بالموسى، لاعترف للبربر بحكمة التدبير الدنيوي وأن لهم قصب السبق في ذلك."(اليوسي 2006: 198)

هذه الحكمة في التدبير فصّل فيها شارل أندري جوليان حيث وصف نمط حياة الأمازيغ أو البربر كما يسميهم قائلا أن مطبخهم يتسم بالاقتصاد، إذ يعتمد أساسا على النبات، فاستهلاكهم للّحوم نادر، ولا يتم سوى في المناسبات فـ" هم من طينة ممتازة. إنهم كانوا قنوعين ونباتيين في غالب الأحيان. وقد كان الفلاحون يأكلون الكسكسي منذ ذلك العهد ومربو المواشي قليلا ما كانوا يذبحون حيواناتهم بل يكتفون بلبن المعز. وكانوا يؤثرون الصيد والحلزون، والعسل ولا يشربون إلا الماء."(جوليان 2011 : 64)

والجزائريون شديدو الاعتزاز بهذا الطبق فهم لا يزالون يطبخونه في كل يوم جمعة بكل الطرق الممكنة، إذ ثمة وصفات عديدة لإعداده، وهو محبوب في كل منها حتى أنهم قالوا أن الكسكسي وحده من غير حتى أن ترافقه اللحوم أو الخضروات مصدر فخر وعز لديهم، فـ"الطّعَامْ هَمَّة يَا لُو كَانْ بَالْمَاء" كما يقولون.

5. الكسكسي وقرابة الملح

نقصد بقرابة الملح ذاك التحالف الذي ينشأ عن تقاسم الطعام، خاصة الكسكسي، وفي الحكايات الشعبية الأغوال تأكل لحوم البشر، لذلك لا يكون الإنسان إنسانا فيها إلا إذا كان من آكلي الكسكسي، فاستهلاكه علامة على الانتماء لعالم الإنسان، إذ حسب أوسوس فإنه في النصوص السردية الشعبية القبائلية سواء أتعلق الأمر بالأساطير أم بالحكايات يعدّ الكسكسي رمزا ثقافيا أي أنه يثبت الهوية البشرية والانتماء لعالم الإنسان.(أوسوس 2007: 86)

وليس الكسكسي رمزا ثقافيا لأنه يحدد هوية آكله البشرية فحسب، بل لكونه علاوة على ذلك يقوي الروابط الاجتماعية بين بني البشر، إذ يرتبط الكسكسي بعادات اجتماعية لا تزال قائمة، وهي عادة تقاسمه في مختلف المناسبات وحتى خارجها أي خلال سائر الأيام، لتقوية الأواصر الاجتماعية، حيث يعدّ الأكل من طبق واحد بمثابة عقد اجتماعي ضمني لا تصح خيانته ولو لفظيا، فالمثل الشعبي يذم الإنسان الذي يتقاسم الطعام مع غيره ويقول فيه سوءا في الوقت ذاته إذ يقول" **يّاكُلْ في الغلّة ويْسَبْ في المَلّة**" لطالما ردد القبائل سيرة أحمذ أومري الشعبية، ذلك الثائر الذي لم يتمكن منه الاستعمار الفرنسي إلا حول طبق الأكل، وذلك حينما دعاه صديقه لتقاسم الطعام فغدر به وقتله، فصار ذاك "الصديق" رمزا لخائن الملح، وكل من يغدر بحبيبه كان يلقب بخائن أو ناكر الملح، وهنا نذكر على سبيل المثال أغنية دحمان الحراشي: يا نكارة الملح والطعام. فالنعمة لفظة وإن كانت تعني لغويا كل الخيرات فإنها عند الجزائري تعني الحبوب وما ينتج عنها من معجنات، ومن يأكل منها يتعلم الوفاء.

إن تقاسم النعمة من شأنه أن يحقق قرابة تماثل في قوتها وأهميتها قرابة الدم، لأنها تلزم المشاركين في الوجبة بجملة من الالتزامات في المعاملات أهمها الوفاء وحفظ العهد، فكما يحفظ الملح الخيرات المادية كذلك يحفظ العلاقات الاجتماعية، وهو ما يحقق الأمن الاجتماعي.

إن تناول الكسكسي هو فعل ثقافي لأنه لا يتم بغاية إشباع الحاجة البيولوجية فحسب، فالاجتماع حول "مترد" الطعام بالنسبة للجزائريين عامة والقبائل على الخصوص هو تجديد لتحالفات سابقة وتوطيد لعلاقات جديدة دفعا للنزاعات الممكنة، فـ "الاجتماع على الكسكس ليس مقصودا منه الأكل كفعل بيولوجي لإشباع الجوع، وإنما تجديد التحالفات والتعاقدات ضمنيا، فالحيوانات وحدها هي التي تجتمع على الطعام لذاته... أما الناس فتَقاسُم الطعام يعتبر دعما لتماسكهم وتحالفهم تفاديا للصراعات وتأسيسا مستمرا لنظام الجماعة وقيمها."(أوسوس 2007: 87)

6. أشكال تقاسم الطعام ومناسباته

كان الجزائريون يتقاسمون أغلب أشغالهم الشاقة سواء أتعلق الأمر بالأشغال الخاصة أم بالأشغال العامة، من خلال ظاهرة اجتماعية هي التويزة، التي يتم بفضلها إعداد كسكسي العولة مثلا، أو كسكسي المناسبات السارة أو المناسبات الأليمة، وبالتالي فإن تقاسم الطعام يتم خلال هذه المناسبات المختلفة.

نبدأ بذكر المناسبات الاجتماعية سواء أتعلق الأمر بالأفراح أم بالآلام، وإن كان ثمة اختلاف في المكونات المستعملة لإعداد هذه الأنواع، فكسكسي الأفراح يختلف عن كسكسي المآتم في كون الأول ترافقه قطع من اللحم، بينما الثاني كان خاليا منها، هذا في الماضي لأنه أمر قد تغير عند بعض العائلات الحضرية التي صارت تطبخ في مآتمها ما تطبخه في أعراسها.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 4، العدد 12، 2025
Vol: 4 / N°: 12 (2025)
ISSN: 2750-6142

وفي الواقع فإن الجزائريين يتهادون أطباق الطعام من كسكسي وغيره خلال كل المناسبات المفرحة كالزواج، والختان، وازدياد ابن ذكر في العائلة...إذ حتى حينما يمتنع أهل الفرح عن استضافة الناس في بيوتهم لسبب من الأسباب كما في مناسبة المولود الجديد، أو كان الضيف هو نفسه العاجز عن زيارة أهل العرس، فإن هؤلاء يرسلون له طبقا بنصيبه، وفي الآونة الأخيرة صار الاحتفال بالمولود الجديد يكتسي طابعا دينيا يدعى العقيقة ويخصص للذكر والأنثى معا، ولكن بمصاريف غير متساوية.

وإلى جانب المناسبات الاجتماعية، فثمة المناسبات الدينية كشهر رمضان، وإذا كنا نركز على تقاسم الطعام المصنوع من النباتات(الحبوب والخضار) فإننا لا نستثني تقاسم اللحم، فقد رأينا أن الجزائريين عامة والقبائل خاصة هم نباتيون في الغالب، إلا أنهم في بعض المناسبات كعيد الأضحى يتقاسمون اللحم من خلال عادة تدعى ثيمشرط أو الوزيعة.

وهنا نذكر أنه إلى وقت قريب كانت ثيمشرط عند القبائل عادة اجتماعية تقرر تاجماعث أوانها، فقد تكون غرامة مثلا، وقد تكون مرتبطة بالمواسم الفلاحية، فقد ذكر هانوتو في الجزأين من كتابه، أن القبائل كانوا يقومون بها عند بداية تلك المواسم، كموسم الحرث مثلا . (Hanoteaux , Letourneux 1893 :478)

وأكثر مناسبة اجتماعية دينية يتم فيها تقاسم الطعام على نطاق واسع، وبين سكان أكثر من قرية واحدة هي ما يدعى ب " الوعدة" أو " الزردة" أو غيرها من التسميات، فهي لحظات معقدة ذات طابع اجتماعي نفسي وديني في آن واحد، حيث يسعى الناس فيها:

ـ لتجديد الولاء والعرفان لمؤسس الطريقة، فالأجداد أيضا حاضرون من خلال أسمائهم التي منحت لأحفادهم.

ـ كذلك لإظهار الولاء لشيخها الحالي.

ـ كما أنها لحظات لتجديد الأمل في الغد: كالشفاء والزواج وغيرها من صعوبات الحياة.

ـ إضافة إلى كونها لحظات لتجديد التلاحم الاجتماعي والنفسي ونبذ الفرقة والتشتت الذي يكون قد دبّ في النسيج الاجتماعي، داخل القرية الواحدة أو بين القرى.

وفي الواقع فإن الجزائريين يتقاسمون الطعام في سائر أيام السنة، وليس خلال المناسبات الاجتماعية والدينية فحسب، وهم يحثّون في أمثالهم على تقاسم الطعام قائلين لبعضهم البعض **"كُولْ وفَرَّقْ والاَّ كُولْ ودَرَّقْ"** أي فرق طعامك وأنت تتناوله وإن رفضت فكله خفية.

ولقد كانت تنتشر إلى الماضي القريب عادة بدأت تندثر حاليا هي " تذويق الطعام" أو " تذويق الملح"، ويقال تذويق لأن كمية الطعام الموهوب قليلة لا تعادل طبخة الغداء أو العشاء، مما يدلّ على أنها كانت هبة رمزية . بعدها الرمزي هو الهدف . ، تتم عادة عند موعد العشاء ، وفيما يتعلق بهذه العادة فإنه غالبا ما تتم في الظروف التالية:

ـ تتم عادة بين الجيران، حيث يتهادون أطباقا من الطعام لتعريف جيرانهم بأنواع الطعام الخاصة بقراهم أو حواضرهم التي قدموا منها، فأغلب سكان الحواضر مثلا هم من القادمين الجدد الذين غادروا قراهم للإقامة فيها لأسباب اقتصادية واجتماعية مختلفة، لذلك كانت لديهم وصفات طبخ خاصة بهم يقومون بالتعريف والتفاخر بها إزاء جيرانهم، وهذه الهدايا فرص للتعريف بفتيات العائلات وإبراز كفاءاتهن.

ـ حينما يدخل الضيف أو أي شخص كان لغرض من الأغراض، لأول مرة إلى بيت ما، فإنه لا يصح أن يخرج منه من غير أن يتناول أو يذوق على الأقل شيئا من طبخ أهل البيت من المخبوزات أو الحلويات أو غيرها.

ـ وعادة ما يتم إهداء طبق الطعام في ثلاث حالات أخرى، وهي:

*حينما يتم طبخ وصفة غالية أو جديدة غير معروفة.

*حينما يكون في الحي امرأة حامل، والتي يمكنها أن تصيبهم بلعنتها ما لم تذق من طعام شمت رائحته من بعيد.

*وحينما يقيم في الحي شخص مريض.

وهكذا نلاحظ ما في هذا السلوك الاجتماعي من تضامن، ومن الحرص على تحقيق التبادل والتكامل، فتبادل الطعام هو أيضا تبادل لوصفات الطبخ فالأفراد يعيشون في جماعات متمايزة من حيث وظائفها وما ينتج من ثمار من تلك الوظائف، سواء أتعلق الأمر بالمجتمع الحضري أم بالمجتمع الريفي الذي صار يعرف هذه التمايزات.

يبدو جليا من خلال الوصف السابق أنها ممارسة عريقة جدا، إذ من المؤكد أنها تعود لزمن لم تظهر فيه بعد فكرة العملة والتجارة بمفهومها الحالي، ولم تتحول فيه الضيافة بعد إلى تجارة من خلال المطاعم والفنادق، فقد كان إلى وقت قريب حتى ساعي البريد يحصل على شيء من الأكل والشرب كالقهوة مثلا حينما يمر بالأحياء لتسليم البريد.

من خلال ما سبق ندرك أن الجزائري كان متمسكا بل وملزما بالتمسك بعاداته التي تسمح له بتوطيد علاقاته الاجتماعية، فتقاسم الطعام ليس مجرد مجاملات" رغم أن هذه الخدمات والخدمات المضادة تجري طوعا وتأخذ شكل الخدمات والهدايا، فإنها في الواقع تأخذ طابعا إلزاميا." (موس2011 :40)، فلقد تشرب الجزائري هذا الإلزام واستوعبه حتى تحول إلى التزام عقلاني، حيث كانت "تفرض عليه الالتزامات القرابية والتزامات الجيرة توزيع جزء معين من حصيلة عمله بين الأهل أو الجيران"(محجوب :15) محكما عقله ومتحديا بذلك شعوره وغريزته اللذين يمليان عليه دوافع الحرص التي قد تدفعه لتجميع ممتلكاته وثروته والاحتفاظ بها.

إنه بدل الاتصاف بالبخل يختار الكرم من غير شطط أو تبذير، أي التنازل عن شيء مما لديه لغيره، ومضاعفة العمل للحصول على غيره، متأثرا بنظام القيم الاجتماعي والمعايير الاجتماعية السائدة، فتقاسم الطعام هو سلوك مقنن يخضع لقواعد اجتماعية محددة وثابتة لأن التمرد عليها يؤدي إلى عقوبة اجتماعية عادة ما تكون هي الإقصاء" وللنظم الاجتماعية وظائف محددة، فهي تلعب دورا في التماسك الاجتماعي، وهي تبقى ما بقي لهذا الدور من أهمية في حياة المجتمع. "(محجوب: 19)

وليس الذي يهدي هو الوحيد الملزم بتقديم الهبات، بل حتى الذي يتلقاها هو الآخر ملزم بقبولها، وهكذا يظهر أن تقاسم الطعام وما يتبعه من تلاحم اجتماعي ليس هبة مقدمة للبشر فيما بينهم فحسب، إن تقاسم الطعام هو بمثابة عقد اجتماعي صارم يتجاوز الاجتماعي ليرتبط بعالم الغيبيات، و ما يؤكد ذلك هو وجود اتفاق اجتماعي على ألاّ تُعاد الأواني التي تضمنت الطعام لأهلها فارغة، فكل من وصله نصيب من الطعام إلى بيته كان ملزما بوضع مقابله من طعام آخر في الإناء ورده، وعادة ما يكون هذا المقابل سكرا أو بيضا أو غيره من المواد الغذائية التي تحمل رمزية الخصب والود، والتي يتفاءل بها الناس عادة.

وهو مقابل يرده الشخص عن طيب خاطر مخافة إصابته بالأذى، فعدم رد الهدية عند الشعوب التي درسها موس من شأنه إلحاق الضرر والمكروه، وهو مكروه قد يبلغ درجة الموت، والأدهى أنه متوارث كاللعنة بمن تلقاها (موس2011: 51) ، فثمة أيضا إذن غاية عليا هي استرضاء القوى التي وهبت الطعام، وهنا لا نستبعد أن يكون الهدف هو ما ذكره موس في دراسته من أن الهبة تجعل البشر متجانسين روحيا وهو ما يشجع الآلهة لأن تكرمهم، إذ نتذكر قوله " فتبادل الهدايا بين البشر المتجانسين

من حيث الروح يحث أرواح الموتى، وكذلك الآلهة والأشياء والحيوانات والطبيعة، على أن تكون " كريمة معهم." (موس 2011: 62)

إن تقاسم الطعام كما نلاحظ نظام متكامل يجمع ما بين الديني والاجتماعي، وما بين القيم والسلوكات الاجتماعية، وهذا يعني تحكيم للعقل في تسيير الشؤون الجماعية" وهكذا فإن الشعوب لم تصل إلى تعويض الحرب والانزواء والثبات على الحال نفسه عن طريق التحالف والهبة والتجارة إلا من خلال المقابلة بين الشعور والعقل ومن خلال تأكيد إرادة السلم ضد التصرف الجنوني المفاجئ"(موس 2011 :248).

7. أهمية تقاسم الطعام

إن العلاقات الاجتماعية القائمة على الجيرة أو الصداقة، بل وحتى تلك القائمة على الدم معرضة للتدهور بفعل بعض مستجدات الحياة كالخصام على الإرث، أو لاختلاف في المصالح، وهي أمور تجعل النزعة الفردية تطغى، وكلما ازداد طغيان الفردية ازداد التفكك الاجتماعي، فطريق الفردية مسدود ولا يسمح بالتعاون والتعاضد، وحتى لا تتحول إلى عداء يتم التمهيد لها بمختلف أشكال تقاسم الخيرات الغذائية خاصة الطعام، وهذا لحماية الجماعة وتوطيد صلات التعاون والتضامن بين أفرادها، " فالمجتمعات تقدمت بقدر ما ولت إليه، هي وأقسامها الصغرى وأفرادها، من تثبيت لعلاقاتها المتمثلة في تقديم الهدية والقبول بها وفي النهاية الرد عليها...وبهذه الطريقة عرفت القبائل والشعوب ...كيف تتصارع دون أن تتقاتل، وأن تعطي دون أن يضحي بعضها بنفسه لفائدة بعضها الآخر. وفي ذلك يكمن السر الأبدي لحكمتهم وتضامنهم." (موس2011 :248)

إن تقاسم الطعام يسمح بإشاعة جو من الطمأنينة في الحياة الاجتماعية ويتيح العيش المشترك " فالناس لا يستطيعون في الواقع الانصراف إلى شئونهم إلا لأنهم يعرفون نوع السلوك الذي يرتقبه الآخرون منهم. وكذلك نوع التصرفات التي يتوقعونها هم أنفسهم من الآخر ينفي مختلف مواقف الحياة الاجتماعية. كما أنهم ينظمون نشاطهم تبعا لقواعد مرسومة وحسب قيم معينة متعارف عليها." (محجوب: 25)

كما أن في تقاسم الطعام فرصا لخلق أسباب الفرح والسعادة، مما يدل على أنهما ليسا مفهومين غامضين أو خياليين، بل كانا واقعا يصنعه الناس بفضل أفعالهم الإيجابية التي في صالح الجماعة الإنسانية، وبالتالي فإن تقاسم الطعام طريقة لتحقيق المجتمع الإنساني ولإبقاء الإنسان في حالة الثقافة، ومنعه من العودة من جديد لحالة الطبيعة، لأن "ما يميز الإنسان عن بقية أعضاء العالم البيولوجي هو الثقافة...فهو وحده الذي يستخدم اللغة ويصنع الأدوات، وهو وحده الذي يؤمن بالأديان ويبتكر الفنون." (محجوب: 14)، وليفعل كل ذلك لابد له من الاستقرار والأمن.

هكذا يسمح فعل تقاسم الطعام لصاحبه ببناء هوية محددة واكتساب وعي معين وذلك بتحقيق الانسجام الاجتماعي والاندماج بحيث يؤدي إلى صهر الفرد في النسيج الاجتماعي بعيدا عن كل أشكال التسلط، وبعيدا عن كل العصبيات لأنه يشجعه على الالتزام ولا يفرض الإلزام، كل ذلك بهدف تذويب الاختلافات والقضاء على التصنيفات والتمايزات، إنها شكل من أشكال تجاوز الفرقة الاجتماعية وخلق نوع من المواطنة.

ولا يمكننا إنهاء هذا العرض دون الإشارة إلى دور المرأة في تحقيق السلم الاجتماعي، فهي التي تطبخ وهي التي تهدي وهي التي ترد الهدية وهي التي تتحسب وتدخر لتتمكن من رد الهدية، وبالتالي هي صانعة وحامية هذه العادات والتقاليد وحصنها المنيع.

خاتمة

من خلال ما سبق ندرك أن تشبث الجزائري فيما مضى بعاداته كان يعني إدراكه بما كانت هذه العادات توفره له من أمان اجتماعي، يسمح له بالانصراف لتحقيق التطوير والرخاء على كافة المستويات، فعلى الرغم من كل المجاعات التي مر بها خلال الفترة الاستعمارية إلا أنه حافظ على هذه العادة الاجتماعية في مناسباته وسائر أيامه.

ولكن نلاحظ في السنوات الأخيرة عزوف بعض الناس عن تقاسم الطعام خارج المناسبات الكبرى، ولهذا العزوف عدة أسباب منها خروج المرأة للعمل، وكثرة مشاغلها جعلها تنسى هذه العادة ، وعلاوة على ذلك هناك تشرذم سكان الأحياء العتيقة، إذ بانتقالهم إلى أحياء جديدة، وجدوا أنفسهم يسكنون بين جيران أغراب عنهم، فانقطعت هذه العادة خاصة حينما يضاف إلى ذلك ما أصاب بعض الناس من مخاوف تتعلق باستغلال هذه العادة في أعمال الشعوذة.

قرابة الملح إذن هي علاقة اجتماعية جوهرية لأن اختفاءها يُحدث تغيرا جوهريا في المجتمع، فلا يمكن فهم مثلا التلاحم والتضامن الذي أظهره الجزائريون خلال تاريخهم الطويل خاصة في أوقات الأزمات بعيدا عن هذه العلاقة الأساسية، ولا يمكن أن يسود ذاك التضامن إلا بتعزيز هذه العلاقات الاجتماعية القائمة على المشاركة.

قائمة البيبليوغرافيا

- ابن خلدون .(2004) .*المقدمة* (تحقيق عبد الله محمد الدرويش، الجزء الأوّل، الطبعة الأولى). دار يعرب.
- أوسوس، م .(2007) .*دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي* .المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية..
- جوليان، ش. أ .(2011) .*تاريخ إفريقيا الشمالية* (تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة). مؤسسة تاوالت الثقافية.
- شفيق، م .(1996) .*المعجم العربي الأمازيغي* (الجزء الثاني). أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة معاجم.
- محجوب، م. ع .(1975) .*الاتجاه السوسيو-أنثروبولوجي في دراسة المجتمع* .وكالة المطبوعات.
- موس، م .(2011) .*بحث في الهبة: شكل التبادل وعلّته في المجتمعات القديمة* (ترجمة المولدي الأحمر). منشورات المنظمة العربية للترجمة.
- اليوسي، ح .(2006) .*المحاضرات في الأدب واللغة*)تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، الجزء الأوّل، الطبعة الثانية). دار الغرب الإسلامي.
- الأمم المتحدة .(2002) .*تقرير مؤتمر القمّة العالمي للتنمية المستدامة، جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا، 26 آب/أغسطس–4 أيلول/سبتمبر 2002* (A/CONF.199/20)؛ منشورات الأمم المتحدة، رقم البيع .(E.03.II.A.1 الأمم المتحدة. تم الاسترجاع في 25 أكتوبر 2022 من:

https://earthcheck.blob.core.windows.net/media/50622/report-of-the-world-summit-on-sustainable-development.pdf

- Chebel, M. (1995). *Dictionnaire des symboles musulmans: Rite, mystique et civilisation*. Albin Michel.

- Hanoteaux, A., & Letourneux, A. (1893). *La Kabylie et les coutumes kabyles* (2e éd., Tome 1). Augustin Challamel.

Romanization of Arabic Bibliography

- Ibn Khaldoun. (2004). *Al-Mouqaddima* [The Muqaddimah (Ed. Abdullah Muhammad Al-Darwish, Vol. 1, 1st ed.)]. Dar Ya‘rub.
- Oussous, Mohamed. (2007). *Dirasat fi Al-Fikr Al-Mithi Al-Amazighi* [Studies in Amazigh Mythical Thought]. Royal Institute of Amazigh Culture
- Joulian, Charles-André. (2011). *Tarikh Ifriqya Al-Chamaliya* [History of North Africa (Arabized by Mohamed Mazali & Bachir Ben Salama)]. Tawalt Cultural Foundation.
- Chafiq, Mohamed. (1996). *Al-Mu‘jam Al-‘Arabi Al-Amazighi* (Al-Juz’ Al-Thani) [Arabic-Amazigh Dictionary (Vol. 2)]. Academy of the Kingdom of Morocco, Lexicon Series.
- Mahjoub, Mohamed Abdu. (1975). *Al-Ittijah Al-Sosyowanthropologi fi Dirasat Al-Mujtama‘* [The Socio-Anthropological Approach in Studying Society]. Al-Matbouat Agency.
- Mauss, Marcel. (2011). *Bahth fi Al-Hiba: Shakl Al-Tabadul wa ‘Illatuh fi Al-Mujtama‘at Al-Qadima* [The Gift: The Form and Reason of Exchange in Ancient Societies (Trans. Al-Mouldi Al-Ahmar)]. Arab Organization for Translation Publications.
- Al-Youssi, Hassan. (2006). *Al-Muhadharat fi Al-Adab wa Al-Lugha* [Lectures on Literature and Language (Ed. & Commentary by Mohamed Hajji & Ahmad Al-Sharqawi Iqbal, Vol. 1, 2nd ed.)]. Dar Al-Gharb Al-Islami.